مؤتمر القدس من وجهة نظر غيريّة (هنري لورنس مثالا)

The Jerusalem Conference from an Other-Centered Perspective (Henry Laurens as a Case Study)

د. نجاة الطاهر قرفال: المعهد العالي للغات/جامعة قابس–تونس

Dr. Najet Taher Guerfel: Assistant Professor of Higher Education, specializing in Arab Civilization (Arabism/Arab Studies), University of Gabes, Tunisia.

Email: guerfeell@hotmail.fr

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v6i1.1706

تاريخ الاستلام: 2025-11-03 تاريخ القبول: 2025-11-15 تاريخ النشر 2026-01-01

الملخّص:

إنّ مقاربة القضيّة الفلسطينيّة لم تقتصر على الدراسات العربيّة؛ إذ انجذب إليها كثير من المفكّرين من غير العرب، بغضّ النظر عن غاياتهم من الخوض فيها والكتابة حولها. وقد تحوّلت هذه الكتابة، لدى بعض الأوروبيّين، إلى شاغلٍ فكريّ حقيقيّ، دلّت عليه مصنّفاتهم العصيّة على الحصر. وتستهدف هذه المحاولة البحثيّة تحليل القيمة الإنجازيّة لمؤتمر القدس وأبعاده الحضاريّة، من خلال مقاربة غيريّة تصدّى لها المستعرب الفرنسيّ المعاصر هنري لورانس (Henry Laurens، 1954–)، صاحب الموسوعة العلميّة مسألة فلسطين (La question de Palestine). ويتمّ ذلك عبر النظر في جملة من العناصر، من بينها موجّهات مؤتمر القدس الزمانيّة والآنيّة، ثمّ فعّاليّات المؤتمر من حيث التحضير والإجراء، فضلًا عن تداعياته الداخليّة والخارجيّة. ومن النتائج الأوّليّة التي خلصت إليها الدراسة أنّ الحقيقة الواحدة قد تختلف باختلاف زاوية النظر؛ إذ نبّه لورانس القارئ إلى خصوصيّة هذا المؤتمر في حدود قدرته على ضمّ المتفرّق وجمع الشتات، وبلورة قضايا حارقة راهنة. غير أنّه، في المقابل، أشار إلى جملة من الأدواء التي ما تزال تنخر الأمّة عامّةً، وعلماءها خاصّةً، والمتمثّلة في النرجسيّة، والانفعال، والسطحيّة في التناول، وعدم التمييز بين ما ينبغي كشفه وما يجب إخفاؤه. وفي ذلك بُعدٌ استشرافيّ لا يُستهان به.

الكلمات المفتاحية: القضيّة الفلسطينيّة؛ مؤتمر القدس؛ المقاومة؛ الغيريّة؛ هنري لورنس.

Abstract:

The study of the Palestinian cause has not been confined to Arab scholarship alone; rather, it has attracted many non-Arab thinkers, regardless of their motives for engaging with it and writing about it. For some European scholars, this writing evolved into a genuine intellectual preoccupation, as evidenced by their extensive and numerous works. This research endeavor aims to analyze the practical value and civilizational dimensions of the Jerusalem Conference through an "other-centered" approach undertaken by the contemporary French Arabist Henry Laurens (born 1954), author of the scholarly encyclopedia La question de Palestine. This is achieved by examining a set of key elements, including the temporal and contextual determinants of the Jerusalem Conference, the preparatory and procedural aspects of its activities, and its internal and external repercussions. Among the preliminary findings of the study is that a single truth may vary with a change in perspective. Laurens draws the reader's attention to the particular significance of this conference in terms of its capacity to bring together fragmented elements, reunite dispersed efforts, and articulate pressing contemporary issues. However, he also points out a number of maladies that continue to afflict the nation in general and its scholars in particular—namely narcissism, emotional impulsiveness, superficial treatment of issues, and the failure to distinguish between what should be revealed and what ought to remain concealed. In this regard, his analysis carries a noteworthy forward-looking dimension.

Keywords: Palestine cause; Jerusalem Conference; Resistance; Altruism; Laurens Henry

المقدّمة:

إنّ فكرة المقاومة لا تتحيّز لمكان ولا لزمان ولا لحال؛ فهي ذات أشكال إبداعيّة متعدّدة ومتجدّدة بحسب المستجدّات والظروف. غير أنّ فكرة المقاومة لا تؤتي أُكُلها إن ظلّت متوقّفة عند حدود التنظير، ولم تتحوّل إلى إجراءات عمليّة تُحقّق بها أهدافها وتبلغ بها غاياتها القريبة والبعيدة. وهذا من شأنه أن يدفع الفكر الإنسانيّ إلى البحث في مقتضيات المقاومة والتحدّيات التي تفرضها أو تواجهها، ومن ثمّ تبيان حدودها.

ولا خلاف بين المشتغلين بقضايا الإنسان والمنشغلين بها في أنّ القضيّة الفلسطينيّة من أمّهات القضايا، إن لم تكن هي القضيّة الإنسانيّة الأمّ. وإنّ تسريح الأنظار فيها، وتعميق الفهم في أصولها ومآلاتها، قد جذب كلّ فكرٍ حرّ، عربيًّا كان أم غيريًّا. ولعلّه من المفيد الحفرُ في أحد المنجزات الغيريّة المتعلّقة بالقضيّة الفلسطينيّة، والمنسوبة إلى أحد المستعربين الفرنسيّين المعاصرين.

أمّا المستعرب، فهو المشتغل—من غير أهل العربيّة—بحقلٍ معرفيّ مادّتُه العربيّةُ لغةً وأدبًا وحضارةً. وأمّا العيّنة المنتخبة، فهو المستعرب الفرنسيّ هنري لورانس(Henry Laurens ، 1954)–، الذي كتب تحت عنوان مسألة فلسطين خمسة مجلّدات[1]، هي: اختراع الأرض المقدّسة، ومهمّة حضاريّة مقدّسة، وتحقيق النبوءات، وغصن الزيتون وبندقيّة المقاتل، والسلام المستحيل.

إنّ هذا العمل الضخم، الذي خُصّت به القضيّة الفلسطينيّة، يدعو إلى درسٍ جدّيّ ومتأنٍّ. وتسعى هذه الورقة البحثيّة إلى اختبار جملة من الفرضيّات المتعلّقة بوجاهة الدراسات الغيريّة في التعرّف إلى القضيّة الفلسطينيّة، من حيث خصائصها وخلفيّاتها وحقيقة موجّهاتها، وذلك من خلال منطوق النصّ الغيريّ، وتحديدًا في مسألة دقيقة تتعلّق بمؤتمر القدس.

تنهض خطّة البحث—إضافة إلى المقدّمة والخاتمة—على ثلاثة أقسام رئيسة؛ يتناول القسم الأوّل موجِّهات مؤتمر القدس الزمانيّة والآنيّة، من حيث السياقات التاريخيّة والسياسيّة والفكريّة التي أحاطت بانعقاده وأسهمت في تشكيل مساراته وأهدافه. أمّا القسم الثاني، فيعالج فعاليّات المؤتمر من حيث التحضير والإجراء، مركّزًا على طبيعة التنظيم، وآليّات التفاعل، ومضامين الخطابات والمداولات التي شهدها المؤتمر. في حين يُخصَّص القسم الثالث لرصد تداعيات المؤتمر الداخليّة

[1] *La question de Palestine,* Fayard, Paris, T1, *L'invention de la Terre sainte* (1799–1922), 1999. (722 p), T2, *Une mission sacrée de civilisation (1922–1947),* 2002. (742– p), T3, *l'accomplissement des prophéties (1947–1967),* 2007, (838 p), T4, *le rameau d'olivier et le fusil du combattant (1967–1982),* 2011, (896 p), T5, *la paix impossible (1982–2001),* 2015, (888 p).

والخارجيّة، سواء على مستوى الوعي السياسيّ والفكريّ داخل السياق العربيّ والإسلاميّ، أم على مستوى صداه في الدوائر الدوليّة والإقليميّة.

وانطلاقًا من هذا البناء، يمكن صياغة إشكاليّة البحث في السؤال الآتي: إلى أيّ مدى أفصحت المقاربة الغيريّة التي قدّمها هنري لورانس لمؤتمر القدس عن قيمته الإنجازيّة وأبعاده الحضاريّة؟ ويتفرّع عن هذا السؤال الرئيس عدد من التساؤلات الفرعيّة المتعلّقة بحدود هذه المقاربة، ومكامن قوّتها، وإسهامها في إعادة قراءة الحدث خارج الأطر التقليديّة السائدة.

وانطلاقًا من هذه الإشكاليّة الرئيسة، تتفرّع مجموعة من الأسئلة الفرعيّة، من أبرزها: ما الخصائص المنهجيّة التي وسمت مقاربة هنري لورانس لمؤتمر القدس؟ وما حدود الموضوعيّة والغيريّة في قراءته لهذا الحدث؟ وإلى أيّ مدى أسهمت هذه المقاربة في إبراز الأبعاد الحضاريّة للمؤتمر، والكشف عن دلالاته السياسيّة والفكريّة في سياقها التاريخيّ؟

أوّلا: موجّهات المؤتمر: الزمانيّة والآنيّة

تقتضي الإحاطة بها تحصيلَ معرفة تاريخيّة خاصّة بحضارة العرب والمسلمين. وكان لورنس متمكّنا منها. فقد عرّفه المستعرب روبار صنتوكسي (Santucci Robert)(1926–2021)، بأنّه: "مؤرّخ ومستعرب... اهتمّ بالعالم العربيّ، وبالإسلام وحضارته عموما"[1]. لذلك يبدو مصنّفه المذكور آنفا قابلا لأن يكون معينا يمتح الباحث منه جملة الموجّهات التي كانت وراء قيام مؤتمر القدس.

(1) الموجّهات الزمانيّة: من جهة اليهود ومن والاهم: دور بريطانيا وتصريح بلفور واستصدار قرار الانتداب، وكذلك من جهة الفلسطينيّين أنفسهم.

أ- من جهة اليهود ومن والاهم:

- **من خارج اليهود:** ليست المناداة بعودة اليهود إلى فلسطين بالأمر الجديد. فقد صدر أوّل كتاب عام 1621، تحت عنوان: **البعث العالميّ الكبير أو عودة اليهود**، كتبه هنري فنش(Finch Henry)، المحامي البريطانيّ، ثمّ دافع على فكرة العودة: إسحاق نيوتن وجون جاك روسو وغيرهما، من أرباب الفكر المعاصر والتيّارات الفلسفيّة الفاعلة في بنية الفكر الإنسانيّ الحديث. ولمّا كان العداء ضدّ اليهود قديما، إذ كان أوّل ظهور لمعاداة الساميّة أو اللاساميّة(Anti–Semitism) في روسيا وكان متجلّيا في سياستها التعسّفيّة ضدّ اليهود. فقد نشأ ما عرف

[1] Santucci, R. (2000). Compte rendu de La question de Palestine. Tome premier: 1799–1922, l'invention de la Terre sainte, par Henry Laurens. Revue française d'histoire d'outre-mer, 87(328–329), p383.

بالمشكلة اليهوديّة بسبب الانتماء إلى العنصر السامي. ومن ثمّ كانت هجرة اليهود إلى أوربا الغربيّة وأمريكا الجنوبيّة، خاصّة. ومن النصوص البالغة التأثير في المشروع اليهوديّ الصهيونيّ الاستيطانيّ نصّ عبّر فيه الرحّالة الأمريكيّ الشهير ستودّارد (John Lawson Stoddard) (1850–1931)... في 1891... عن مناسبة أرض فلسطين للعنصر اليهوديّ. يقول: "فلسطين اليوم لا تضمّ سوى 600 ألف شخص، ولكن بوضع ثقافة مخصوصة، يمكنها بيسر أن تغذّي مليونين ونصف. أنتم شعب بلا أرض؛ وتوجد أرض بلا شعب. نفّذوا أحلام أسلافكم الشعراء وبطارقتكم. عودوا، عودوا إلى أرض أبرهام"[1]. وبهذا شرعت الحركة الصهيونيّة في الظهور.

- **من داخل اليهود:** كانت فاتحة العمل السياسيّ الصهيونيّ المنظّم لتأسيس دولة اليهود على أرض فلسطين، بإنشاء المنظّمة الصهيونيّة العالميّة (World Zionist Organisation) التي انعقد مؤتمرها الأوّل في سويسرا، 29–1897/8/31، بزعامة ثيودور هرتزل(Theodor Herzl) الذي فتح الباب واسعا أمام دول أوروبا للتخلّص من العنصر اليهوديّ غير المرغوب فيه. وقد تصدّرت الحكومة البريطانيّة المشهد.
- **دور بريطانيا:** يتجلّى من خلال تصريح بلفور واستصدار قرار الانتداب قرارات سان ريمو، وغير ذلك. وجميعها خطوات غير معزول بعضها عن بعض.
  - **تصريح بلفور** (وزير الخارجيّة البريطانيّة آرثر جميس بلفور) 2 نوفمبر 1917، وهو ما يعرف بوعد بلفور. ينقل لورنس خطاب بلفور المصرّح بالمشروع الاستيطانيّ اليهوديّ في فلسطين برعاية بريطانيّة تامّة: "عزيزي اللورد روتشايلد... تنظر حكومة صاحب الجلالة بعين اللطف إلى القيام في فلسطين بإيجاد مقام قوميّ للشعب اليهوديّ. وسوف تبذل كلّ مساعيها لأجل تيسير تحقيق هذا الهدف"[2].

[1] «Aujourd'hui la Palestine supporte seulement six cent mille personnes, mais, avec une mise en culture appropriée, elle peut facilement en entretenir deux millions et demi. Vous êtes un peuple sans terre; il y a une terre sans peuple. Remplissez les rêves de vos anciens poètes et des patriarches. Revenez, revenez à la terre d'Abraham» (Laurens, 1993, p.4).

[2] لورنس، هنري. (2009). مسألة فلسطين: المجلّد الثاني (1922–1947): رسالة مقدّسة للعالم المتمدّن، الكتاب الثالث (1922–1931): انتداب على فلسطين (ترجمة: بشير السباعي)، ط2، المركز القوميّ للترجمة، ص7.

- **استصدار قرار الانتداب**[1]، من عصبة الأمم أفريل1919 في فرساي، جاء في المادّة 22 من الميثاق حول (الانتداب المصرّح به: مساعدة الشعوب المنتدبة وإعدادها لنيل استقلالها): "شعوب ليست قادرة بعد على حكم نفسها بنفسها... رسالة مقدّسة للعالم المتمدّن... أن يعهد بالوصاية على هذه الشعوب لأمم متقدّمة... وهي ستمارس هذه الوصاية كأمم منتدبة وباسم العصبة..."[2]. إنّ الوصاية على الشعوب وادّعاء قصورها على تدبير شؤونها يمثّل إحدى المغالطات التي عشّشت في العقليّة الأوروبيّة وحكمت الفكر الغربيّ عموما ووجّهته ليتحكّم في العالم عبر مشاريع احتلال معلنة الآليّات غير خفيّة المقاصد[3].

- **قرارات سان ريمو (San Remo)**: تندرج قرارات المدينة الإيطاليّة ضمن سلسلة الخطوات التي سلكتها بريطانيا تشريعا للوجود اليهوديّ في فلسطين. وقد أعلمت السلطات العسكريّة البريطانيّة الشعب الفلسطينيّ، في 28 أفريل 1920، بالقرارات التي اتّخذت في سان ريمو (San Remo): إقامة وطن قوميّ يهوديّ، وإدارة بريطانيّة ستتصرّف لصالح الجميع"[4]. وفي عبارة "الجميع" إيهام بحفظ حقوق الفلسطينيّين وإيهام لهم ببسط العدل والمساواة للحيلولة دون اعتراضهم على سياسة الانتداب وتمرّدهم إلى حين تمكين المغتصبين من الأرض وتفويت فرص المقاضاة لدى المنظّمات المختصّة.

ب- من جهة الفلسطينيّين: تمثّلت الموجّهات الزمانيّة من الجهة الفلسطينيّة في عقد المؤتمرات وطرح قضيّة التسليح والتحرّك لتهديد الانتداب.

- **المؤتمرات:** كانت المؤتمرات في الغالب تطرح شواغل الفكر وتحرّك رهانات الوعي بالوجود. يسجّل لورانس في **الحياة السياسيّة الفلسطينيّة قبل 1948: المحلّيّة أو جامعة**[5] **العُروبة؟**[6]، ملاحظتين مهمّتين في البرهنة على انتشار وعي بالقضيّة الفلسطينيّة سابق لانعقاد مؤتمر

[1] المصدر السابق، ص21.

[2] المصدر السابق، ص7.

[3] للمزيد انظر: قرفال (2023): نجاة، الخطاب الاستعرابيّ والمغالطات الثلاث: العرق الأسمى والعلم الأرقى والمدنيّة الحقّ، مجلّة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانيّة، مجلّد 5، عدد 1، ص79، ص82، ص87، ص90.

[4] Laurens, Henry, *Genèse de la Palestine mandataire*, Dans Monde Arabe 1993/2 (N° 140), Éditions La Documentation française, p. 4.

[5] عُرّب لفظ (Panarabisme) بـ "جامعة العُروبة (نظريّة سياسيّة تدعو إلى وحدة البلاد العربيّة)". انظر: جبّور، عبد النور & سهيل، إدريس (1983). المنهل: قاموس فرنسيّ–عربيّ، ط7، دار العلم للملايين؛ دار الآداب، ص733.

[6] Laurens Henry, *La vie politique palestinienne avant 1948: localisme ou panarabisme?* Dans Monde Arabe 1998/1 (N° 159), Éditions La Documentation française, pp. 12 – 27.

القدس: خروج المرأة للتظاهر، وإن كان الهدف قوميّا وفق رأيه، ومقاطعة مصالح اليهود اقتصاديّا. يقول: "نسجّل في هذا السياق مظاهرة نسائيّة عربيّة فلسطينيّة ذات هدف قوميّ، في نوفمبر 1929 بإيحاء من عوني عبد الهادي، عضو قديم في الوفد العربيّ لفيصل إلى فرساي وشخصيّة معروفة جدّا من جامعة العروبة. ونجد كذلك جهدا أوّل منظّما لمقاطعة المصالح الاقتصاديّة اليهوديّة..."[1].

- "**المؤتمر الفلسطينيّ الخامس**[2]، انعقد في مدينة نابلس أوت 1922، وطرح أهمّ المناقشات المتمثّلة في "مهاجمة الجماعات العربيّة التي يموّلها الصهيونيّون لأجل شقّ صفوف العرب... والقرار الرئيسيّ هو رفض دستور فلسطين الجديد ومقاطعة الانتخابات القادمة"[3]. أدرك الفلسطينيّون أنّ بناء الوعي بالقضيّة يبتدئ من رفض السياسة المفروضة عليهم من حكومة الانتداب، المتزامن ظهورها مع الحرب العالميّة الأولى[4]، والتفطّن إلى حيلها وخدعها الرامية إلى تفكيك اللحمة الفلسطينيّة وإنهاكها.
- **قضيّة التسليح:** مثّلت قضيّة التسليح أحد أهمّ الموجّهات غير المباشرة لقيام مؤتمر القدس. ذلك أنّ الفلسطينيّين أدركوا خطورة ما ستؤول إليه الأوضاع في حالة تمكّن اليهود من التسلّح الجماعيّ في وقت مبكّر وإمكانات المواجهة والمهاجمة، بل شنّ الحرب على أهل فلسطين العزّل. يقول لورنس: "ومنذ مستهلّ عشرينات القرن العشرين، أدّت حوادث تهريب سلاح... لصالح الصهيونيّين، إلى استثارة غضب العرب. وقد عرفوا أنّ البريطانيّين قد قرّروا... إعادة تسليح المستوطنات اليهوديّة، بل وتقديم تدريب على استعمال السلاح"[5]. تزامن ذلك مع تكثيف هجرة اليهود إلى فلسطين[6] وتمكينهم من الأراضي الفلسطينيّة وتسليحهم. يقول زعيتر: "ولم تكتف السلطات بذلك بل أخذت تغضّ الطرف عن تسلّح اليهود على نطاق واسع حتّى

---

[1] Ibid, p. 22.

[2] وهي سبعة من هذا النوع: الأوّل: 1-1919/2/10، وتواصلت إلى عام 1928.

[3] لورنس، المجلّد الثاني: مسألة فلسطين، ص34.

[4] المصدر السابق، ص21.

[5] المصدر السابق، ص269.

[6] "مجموع اليهود الذين وصلوا فلسطين خلال فترة الانتداب البريطانيّ نحو 483 ألف يهوديّ-صهيونيّ". انظر: الحنّاشي، عبد اللطيف (2016): تطوّر الخطاب السياسيّ في تونس تجاه القضيّة الفلسطينيّة 1920-1955، ط1، الدوحة: المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات، ص104.

اكتشفت مصادفة حوادث تهريب ضخمة للسلاح في براميل عديدة من الأسمنت..."[1]. بل مكّنت حكومة الانتداب اليهود من السلاح ودرّبتهم على استعماله.

في مثل هذه الأوضاع المريبة والخطيرة في آنٍ ثارت ثائرة الفلسطينيّين وعبّروا عن احتجاجاتهم. وبناء على ذلك الخطر الداهم كان التفكير في تنظيم مؤتمر احتجاجيّ يدعو إلى تسليح العرب، و"عقد مؤتمر في نابلس في 3 من أغسطس 1931 قرّر استنكار تسليح اليهود..."[2]. غير أنّ إدارة الانتداب سلكت مسلك المراوغة وقلّلت من شأن قضيّة التسليح. إذ "ذكرت إدارة الانتداب أنّ تسليح المستوطنات محدود الوزن... غضب الصهيونيّين–فهم يتّهمون السلطة بالرغبة في تحريض العرب على مهاجمتهم بتأكيدها أنّهم بلا دفاع"[3].

- **التهديد الأوّل للانتداب**[4]، كان ذلك بسبب المفارقة بين انتظام اليهود مقابل عدم انتظام العرب في فلسطين. الأمر الذي من شأنه أن يجعلهم في توتّر دائم وفوضى عارمة. فلا يأتمن اليهود، والحال تلك، جانب العرب ولا يمكنهم التفاوض معهم لافتقادهم لأيّ تنظيم يمكن أن يُفوَّض عند طرح القضايا. إنّ افتقاد التنظيم تضاعف بسبب الافتقار إلى التمويل بمختلف أشكاله. يقول لورنس: "وحيال جمهور يهوديّ منظّم تنظيما قويّا، ويخضع لقيادة واحدة ويحوز رؤوس أموال قويّة، فإنّ الجمهور العربيّ، غير المنظّم، والمحروم من جميع الإمكانات الماليّة، ما كان يمكن له أن يتخلّف عن تحسّس مخاوف مشروعة على مستقبله السياسيّ"[5]. لئن عبّرت سلط الانتداب عن تخوّفاتها من تعطيل مخطّطاتها في خدمة الصهيونيّة فإنّها كانت أشدّ خشية لقيام مشاريع تنظيميّة يسترجع بها الفلسطينيّون التفكير في مصالحهم والتحرّك لاسترجاعها.

(2) الموجّهات الآنيّة: من جهة الكتاب الأبيض، والتنافس العائليّ على القيادة، وإشكاليّة الحائط.

أ– **الكتاب الأبيض**[6]، وهو الصادر في عام 1930. مثّل هذا الكتاب تهديدا لما تمّ التوصّل إليه من اتّفاقات توهم الفلسطينيّين بحفظ حقوقهم المشروعة على أرض فلسطين. لكن خطاب ماكدونالد،

[1] زعيتر، أكرم، القضيّة الفلسطينيّة، دار المعارف، مصر، 1955، (د.ط)، ص91.

[2] لورنس، المجلّد الثاني: مسألة فلسطين، م. س، صص91–92.

[3] المجلّد الثاني: مسألة فلسطين، ص92.

[4] المصدر السابق، ص231.

[5] المصدر السابق، ص231.

[6] الكتب البيضاء نوع من الوثائق السياسيّة الرسميّة التي تصدرها الحكومة البريطانيّة، بصفتها الدولة المنتدبة لإدارة فلسطين منذ نهاية الحرب العالميّة الأولى، لبيان سياستها في قضايا بعينها. الأوّل كتاب تشرشل، جوان 1922، معالجة مخاوف الفلسطينيّين من وعد بلفور. الثاني، أصدرته الحكومة في نوفمبر 1928: تأكيد الملكيّة الإسلاميّة لحائط البراق، مع حقّ اليهود في الصلاة عنده. الثالث كتاب باسفيلد، أكتوبر 1930، ردّا على لجنة سمبسون المؤكّد لحقّ الفلسطينيّ في أرضه. ألغاه ماكدونالد، في نوفمبر 1930: حقّ المنظّمات الصهيونيّة. وسيسمّى

رئيس الوزراء البريطانيّ، قد أعاد الوضع القائم إلى نصابه... وفي فلسطين نفسها يجب على الشعبين أن يتمتّعا بالتعادل السياسيّ دون مراعاة الأهمّيّة الديموغرافيّة لكلّ منهما. ويجب النضال ضدّ كلّ ما قد يشوّه صورة النوايا الصهيونيّة(أي الدولة الصهيونيّة)[1]. وقد جاء تحرّك ماكدونالد هذا ضمن إطار تفسيريّ لمرامي الانتداب: "خطاب ماكدونالد إلى قايتسمان والذي يشكّل "تفسيرا للكتاب الأبيض" إنّما يجري نشره في 13 فبراير/شباط 1931"[2]. ومن البنود "قبول الاستخدام الحصريّ لليد العاملة اليهوديّة"[3]. وفي ذلك إقصاء معلن لمشاركة غير اليهود في الدورة الاقتصاديّة.

إنّ في شرط الاقتصار في قبول العمّال على الصفة اليهوديّة يمثّل بدايةً لانكشاف خفايا الانتداب البريطانيّ وأوهام العدل في التعاطي مع القضيّة الفلسطينيّة. لقد "تأكّد بشكل نهائيّ أنّه لا يمكن توقّع أيّ إنصاف من جانب الحكومة البريطانيّة، حيث إنّ خطاب ماكدونالد قد قضى على الآثار الأخيرة للثقة بهذه الحكومة"[4].

ب- التنافس العائليّ على القيادة: وكان بين العائلة الحسينيّة والعائلة النشاشيبيّة، حيث كانت كلّ منهما تدّعي الحقّ في ريادة الشأن الفلسطينيّ. وقد انبثقت عن ملامح ذلك التنافس شخصيّة الحاجّ أمين الحسينيّ. يقول لورنس: "أمّا المؤامرة الإسلاميّة العامّة التي تعزى إلى المفتي فهي ليست في الواقع غير رغبة الحاج أمين في طرح نفسه كشخصيّة رئيسيّة في العالم الإسلاميّ سعيا إلى كسب اهتمام الجماهير الإسلاميّة بمسألة فلسطين مع تعزيز مكانته السياسيّة الشخصيّة في فلسطين"[5].

أمّا محمّد أمين الحسينيّ المعروف بالحاجّ أمين أو المفتي العامّ بالقدس(1895-1974)، الذي يؤثر عنه أنّه، حين اتّهم بموالاة البريطانيّين، قال قولته الشهيرة: "ما رأيكم أن تقاوموا أنتم الإنجليز وتتركوني لمقاومة اليهود؟"، فهو شخصيّة محوريّة في المسألة الفرنسيّة كما عرضها المستعرب هنري لورنس. يقول في تصوّره لطبيعة العلاقة بين الشرق والغرب أو العرب واليهود: "وفي مواجهة عالم غربيّ يبدو له خاضعا لنفوذ اليهود الخفيّ، كما دلّ على ذلك الخطاب الأسود،

خطابه بالخطاب الأسود. الرابع أصدرته الحكومة في ماي 1939، بعد فشل مؤتمر سنت جيمس بين الفلسطينيّين والصهيونيّين في مارس 1939. يفصّل سفيف طوم (Segev, Tom)(1945-...)، ينتمي إلى تيّار المؤرّخين الإسرائيليّين الجدد المنظّرين لمابعد-صهيونيّة، القول في الكتاب الأبيض في حيثيّات صدوره ومضامينه وآثاراه في كتابه: فلسطين واحدة كاملة: اليهود والعرب تحت الانتداب. انظر:

Segev, Tom, *One Palestine, complete: Jews and Arabs under the Mandate*, New York, Metropolitan Books Collection, 2000, pp. 335-340.

[1] لورنس، المجلّد الثاني: مسألة فلسطين، ص266.

[2] المصدر السابق، ص260.

[3] المصدر السابق، ص260.

[4] المصدر السابق، ص261.

[5] المصدر السابق، ص263.

فإنّه يسعى إلى أن يجعل من العالم الإسلاميّ، الصورة الأولى للعالم الثالث، الأداة الضروريّة للضغط على اتّخاذ القرار البريطانيّ. وهو يطرح فكرة عقد مؤتمر إسلاميّ في القدس، هو المؤتمر الإسلاميّ العامّ الثالث، في فترة ما بين الحربين العالميّتين"[1].

لم تكن رؤية الحاجّ أمين للقضيّة الفلسطينيّة بالمقتصرة على الفضاء الفلسطينيّ. وإنّما كان ينظر إليها في إطارها العامّ، في صلتها بالعالم العربيّ الإسلاميّ الذي تنتمي إليه فلسطين تاريخا وجغرافيّة، ثقافة وحضارة. وإلى هذا تنبّه لورنس. يقول: "ومن الواضح أنّ الفلسطينيّين إنّما يربطون مصيرهم بشكل متزايد باطّراد بمصائر المسلمين المستعمَرين الآخرين. وهكذا فإنّهم يشاركون في التظاهرات التي تجتاح العالم الإسلاميّ ضدّ ما يسمّى بسياسة "الظهير البربريّ"[2] التي تنتهجها فرنسا في المغرب الأقصى. والشبّان المسلمون هم المعبّرون عن هذا التضامن الإسلاميّ"[3].

ج- إشكاليّة الحائط: المعروف عندهم بحائط المبكى والذي ليس هو سوى حائط البراق المرتبط في الذاكرة العربيّة الإسلاميّة بحادثة الإسراء والمعراج. وفي تغيير الأسماء ضياع المسمّيات. يقول لورنس: "وفي مستهلّ شهر يونيو/حزيران 1931، تنشر اللجنة الخاصّة لعصبة الأمم تقريرها حول مسألة الحائط، ويعترف التقرير بحقوق ملكيّة المسلمين لمجمل المبنى، إلّا أنّه سيكون من حقّ اليهود المجيء إليه في أيّ لحظة لأداء صلواتهم. ويمكنهم إحضار أشياء، ولكن فقط لأجل استخدامات فرديّة... ومن المحظور القيام بأيّ تظاهرة سياسيّة هناك"[4]. ورغم هذا التصريح المبيّن لشروط التعبّد عند هذا الحائط، تظلّ مسألة الحائط مربكة باعتبارها النظريّ والإجرائيّ على حدّ سواء. وهذا ممّا لم يتنبّه إليه الفلسطينيّون والمسلمون عموما. فقد اعتبروا التصريحات والقرارات بشأن هذا الحائط لصالحهم. لهذا علّق لورنس على الموقف بقوله: "ويشعر المسلمون بأنّهم بإزاء انتصار لهم"[5].

ولم تكن تلك القرارات بالتي تستجيب لمطامع اليهود. فهذا فان ريس، "المدافع كالعادة عن الصهيونيّين" على حدّ عبارة لورنس "...يتّهم... البريطانيّين بأنّهم لا يراعون سوى العرب الذين

---

[1] المصدر السابق، ص266.

[2] وهي ترجمة غير أمينة لما جاء باللسان الفرنسيّ في منشور بتاريخ ماي 1930، يسهّل الاستحواذ على الأراضي المغربيّة، في قبائل الأمازيغ، لصالح الاحتلال الفرنسيّ. صدر في النسخة الفرنسيّة من الجريدة الرسميّة المغربيّة، العدد 918، 30 ماي 1930.
(*Dahir du 16 mai 1930 règlant le fonctionnement de la justice dant les tribus de coutume berbère non pourvues de mahkamas pour l'application de Chrâa*).

[3] لورنس، المجلّد الثاني: مسألة فلسطين، ص263.

[4] المصدر السابق، ص263-264.

[5] المصدر السابق، ص264.

جُرّدوا من أراضيهم ولا تهتمّ بمصالح الاستيطان اليهوديّ إلّا بشكل ثانويّ"[1]. لا يخفي لورنس رأيه بل يضمّنه في ثنايا خطابه. انظر إلى قوله "العرب الذين جُرّدوا من أراضيهم". فأيًا كان نوع الظفر الذي حازوه في مسألة الحائط فإنّهم يظلّون في وضعيّة من لا أرض له. يعتبر لورنس صاحب معرفة خاصّة ب"الإشكالات والاضطرابات التي هزّت هذه الجماعات الإنسانيّة من 1798 إلى 1945. بعد هذه الاجتياحات في المكان والزمان يطرح ما يهمّنا هنا، في قلب التوتّرات المحلّيّة التي تؤجّجها منافسات دوليّة: مسألة فلسطين، مع مشروع إيضاح تعقّدها"[2].

ثانيا: فعاليّات مؤتمر القدس:

لم يهتمّ لورنس بذكر جدول أعمال المؤتمر، فذلك متوفّر بصفة تفصيليّة في الكتابات العربيّة، ولم يكن يعنيه ذلك بقدر ما كان اهتمامه متّجها نحو تناول الخطوات التحضيريّة بالدرس، ومن ثمّ التحوّل إلى الخطوات الإجرائيّة ومن التحضيرات محاولةُ تدويل القضيّة وكذلك العناصر المحرّكة للمؤتمر والتخوّفات التي أبدتها بعض الدول الأوروبيّة. ومن الإجراءات بدايةُ فعاليّات المؤتمر وجملة الأنشطة المؤثّثة له ثمّ المؤتمر الذي انعقد بشكل موازٍ لمؤتمر القدس.

(1) الخطوات التحضيريّة:

أ- **محاولة تدويل القضيّة:** عنون لورنس الحدث ب"المؤتمر الإسلاميّ[3] في القدس[4]. والمنتظر أنّه يقدّم جملة من البيانات حول هذا المؤتمر تغذّي فضول متلقّي نصّه أو رغبته في الاطّلاع المعرفيّ الدقيق لمجريات الأحداث. لكنّ لورنس، لكونه صاحب رؤية غيريّة تنظر إلى المسألة من خارجها ومن مسافة معتبرة، تخيّر اعتبار الحدث نتيجة لسبب رئيس ومباشر هو الخطاب الأسود. يقول: "أقنعت مسألة "الخطاب الأسود" بأنّ العرب الفلسطينيّين لن يتمكّنوا بمفردهم من تغيير السياسة البريطانيّة. وهو يعتبر سياسة الضغط الكثيفة التي ينتهجها الصهيونيّون في لندن دليلا على الجبروت الذي يفرضه اليهود على الأوساط الحاكمة في بريطانيا العظمى"[5].

---

[1] المصدر السابق، ص264.

[2] Santucci, *Laurens (Henry): La question de Palestine,* op. cit, p. 383.

[3] لم نظفر بعد بالنسخة الأصليّة الفرنسيّة لنتأكّد من تعبير لورنس عن "الإسلاميّ أكان ب(Islamique) أم ب(Musulman)، أم ب(Panaislamique) ولا ندري بعد هل استعمل اسم القدس أم (Jérusaleme). لأنّ الترجمة قد لا تفصح عن هذا وقد لا يهتمّ المترجم، نفسه، بهذه المسائل الجوهريّة في توجيه عمليّة تحليل الخطاب واستخلاص الدلالات منه.

[4] لورنس، المجلّد الثاني: مسألة فلسطين، م. س، ص273.

[5] المصدر السابق، ص264.

فالضغوط التي يمارسها الصهاينة خارج فلسطين كانت، وفق لورنس، سببا في التفكير في تدويل القضيّة الفلسطينيّة، وإن عربيّا وإسلاميّا. وقد تمثّل بعض من ذلك التفكير في شخصيّة الحاجّ أمين. يقول لورنس: "وبما أنّه قد طرح نفسه بوصفه حامي الأماكن الإسلاميّة المقدّسة التي يهدّدها الصهيونيّون في القدس، فإنّه سرعان ما كسب مكانة دينيّة–سياسيّة تتجاوز إلى حدّ بعيد إطار فلسطين وحدها"[1].

ولكنّ لورنس لا يخفي ارتيابه الذي قد يكون ارتياب بعض الفلسطينيّين أنفسهم، في شخص الحاجّ أمين الذي بدا له في "موقع متلبّس... المتعاون الرئيسيّ مع سلطات الانتداب وخصمها الرئيسيّ في آن واحد"[2]. غير أنّ الحقيقة سرعان ما انبلجت حين لم يصل الحاجّ أمين والوفد المرسل إلى لندن[3]، إلى أيّ نتيجة من التفاوضات مع البريطانيّين. لذلك "وبعد فشل مباحثات لندن هدّد الحاج أمين باستنفار العالم الإسلاميّ"[4]. وهذا الاستنفار سيتّخذ شكر المؤتمر الجامع لمختلف الأطراف العربيّة والإسلاميّة.

ب– العناصر المحرّكة للمؤتمر: أمّا في ما يتعلّق بالعناصر المحرّكة للمؤتمر قبيل انعقاده فلا يشير لورنس إلى عبد العزيز الثعالبيّ الزيتونيّ التونسيّ غير هذه الإشارة التي على اقتضابها تظلّ ذات دلالة عميقة. يقول: "وكانت فكرة عقد مؤتمر إسلاميّ عامّ واردة منذ وقت طويل... ويلعب المنفيّ التونسيّ الثعالبي دورا محرّكا"[5]. ففي ذكر نفيه تأكيد لخطورة شخصيّتها وتفرّغها خارج الرقابة للنهوض بأدوار غير منتظرة. من أدواره في المؤتمر: مساعدته للحاجّ أمين الحسينيّ في إعداد المؤتمر الذي تناول قضايا العالم الإسلاميّ، وركّز على تأسيس الجامعات الإسلاميّة ونشر الدعوة الإسلاميّة ومحاربة الإمبرياليّة، ورئاسة لجنة المؤتمر التحضيريّة، وإعداد التّقرير العامّ باسم المكتب الدائم للمؤتمر، وإقناع مؤسّسة الأزهر ورئيس الحكومة المصريّة بحضور المؤتمر[6].

---

[1] م المصدر السابق، ص264.

[2] لورنس، المجلّد الثاني: مسألة فلسطين، م. س، ص264.

[3] مثّل هذا الوفد ضغطا على البريطانيّين لنعاطف الهند مع القضيّة الفلسطينيّة. إذ عُقد مؤتمر شعبيّ في الهند (المستعمرة الإنقليزيّة) بخمسين ألف شخص، تزامنا مع وجود الوفد الفلسطينيّ في لندن، وأيّدوه، وطالبوا بإلغاء الانتداب ووعد بلفور، واعتبروا فلسطين وديعة كلّ المسلمين. انظر: الحوت، بيان نويهض، القيادات والمؤسّسات السياسيّة في فلسطين، 1917–1948، مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة، سلسلة الدراسات؛ 57، بيروت، 1981، ص237، وما يليها.

[4] لورنس، المجلّد الثاني: مسألة فلسطين، ص264.

[5] المصدر السابق، ص273.

[6] الحناشي، عبد اللطيف، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والقضيّة الفلسطينيّة: 1923–1944، تونس، جامعة منوبة، د. ت، ص13.

ومن العناصر المحرّكة أيضا الحاجّ أمين نفسه، الذي كانت له صلات متينة بمصر. إذ درس في جامعة الأزهر بالقاهرة، وبكلّيّة الآداب في الجامعة المصريّة، وفي دار الدعوة والإرشاد التي يقوم عليها الشيخ محمّد رشيد رضا. سعى الحاجّ أمين إلى حلّ إشكال الموقف المصريّ من انعقاد المؤتمر. "ويجيء الاعتراض الرئيسيّ من مصر... بما أنّهم يعتبرون أنفسهم أوّل دولة إسلاميّة مستقلّة، إنّما يحزنهم أنّهم لم تجر استشارتهم. وكانت لدى الملك فؤاد طموحات إلى أن يصبح خليفة. وأخيرا فإنّ جامعة الأزهر الإسلاميّة القويّة إنّما تخشى من قيام جامعة منافسة في القدس"[1]. ثلاث مسائل تؤلّف الاعتراض: عدم الاستشارة ومسألة الخلافة والمنافسة العلميّة الجامعيّة، يسعى الحاجّ أمين إلى حلّها باستبعاد موضوع الخلافة وتأكيد وجوب المنافسة مع الخصوم لا غير، والخصوم هم اليهود مغتصبو الأرض وليسوا العرب. يقول لورنس: "وفي أواخر أكتوبر... يذهب الحاج أمين إلى القاهرة لكي يهدّئ المخاوف. فمسألة الخلافة لن ترد على جدول الأعمال. والجامعة الإسلاميّة ليس لها من هدف آخر سوى مواجهة الجامعة العبريّة"[2]. غير أنّ الموجّه بالنسبة إلى الحاج أمين كان سياسيّا بالدرجة الأولى. يقول لورنس: "المفتي يسعى، إذن، إلى أن يبرز شخصيّة من الجامعة الإسلاميّة. وهكذا تضامن في 1930 مع المسلمين اللبنانيّين..."[3].

ولكنّ الملاحظ من جهة مصر أنّها تسلك مسلكين اثنين: فمن جهة تقبل المشاركة ومن جهة ثانية تستنجد بحكومة الانتداب البريطانيّ في فلسطين. وتكون بذلك قد استقوت بالأجنبيّ. وهو استقواء لا يكون بلا ثمن، إن عاجلا أو آجلا. وهذا قول لورنس: "وتظلّ الحكومة المصريّة مرتابة: فبالرغم من تصريحها بمشاركة مصريّين في المؤتمر، فإنّها تتدخّل لدى سلطات الانتداب كي لا يتمّ تناول "مسائل غير مستحبّة بالنسبة لدولة صديقة"[4]. ومن أثمان أيّ استقواء منحه الحقّ في التدخّل في الشأن الخاصّ. "ويلعب ريتشموند دور الوسيط بين المجلس الإسلاميّ الأعلى وحكومة فلسطين. ويجري تحديد برنامج المؤتمر[5]. أمّا الموادّ المحدّدة للتداول في المؤتمر فخمس. وهي تباعا: (1) سكّة حديد الحجاز، (2) الجامعة العربيّة في القدس، (3) حماية الأماكن المقدّسة الإسلاميّة في القدس. (4) مكافحة الإلحاد والبولشفيّة في العالم الإسلاميّ، (5) حماية مصالح الإسلام العامّة. ويمكن للناظر في هذه النقاط أن يلاحظ التعميم والتعتيم والغموض في الصياغة. ومن ثمّ تتقلّص المطالب وتقلّ حظوظ تحقيقها.

[1] لورنس، المجلّد الثاني: مسألة فلسطين، ص273.

[2] لورنس المصدر السابق، ص273.

[3] Laurens, *La vie politique palestinienne,* op. cit,, p. 22.

[4] لورنس، المجلّد الثاني: مسألة فلسطين، ص273.

[5] المصدر السابق، ص273-274.

ومن نتائج تسليم زمام الأمور بيد الأجنبيّ توسيع دائرة تصرّفه وبسط نفوذه. ها هو المندوب السامي الجديد يستقبل "الحاج أمين. فيؤكّد له الأخير أنّه لن يقال شيء ضدّ أصدقاء بريطانيا العظمى وأنّ مسألة الحرم الشريف لن يجري تناولها إلّا بشكل بنّاء دون دعوة إلى العنف"[1]. وها هي حكومة الانتداب توافق على عقد المؤتمر "سعيا إلى عدم إغضاب المسلمين الهنود... وسعيا إلى تجنّب نشوب أعمال عنف جديدة" من جهة المسلمين الفلسطينيّين"[2].

ج- التخوّفات: إنّ تحيّز المؤتمر زمنيّا في الحقبة ما بين الحربين العالميّتين كان سببا في تخوّف بعض الدول ممّا يمكن أن ينتج عنه من قرارات. لذلك عبّرت الدول الأوروبيّة عن توجّسها خيفة من لقاء ممكن بين الإسلام ومن يمثّله من الشعوب والدول وبين الشيوعيّة والبلدان الحاضنة لها يومها. لقد كان خوف الأوروبيّين من "احتمال وجود توطؤ سرّيّ بين الإسلام والشيوعيّة". لذلك تأكيد مكافحة البولشفيّة"[3]. وأمّا موسكو فكانت ترى "في عقد المؤتمر مناورة من جانب إنجليز الهند[4]. فلئن كان تخوّف أوروبا من روسيا فإنّ روسيا تتخوّف من الهند الذراع القويّة لبريطانيا.

وتبقى تركيا في الجانب الآخر، وهي حديثة النشأة برؤيتها التحديثيّة وتخلّصها من الإرث العثمانيّ، ومن تبعات الدين والتديّن. لذلك ينشأ تخوّفها من الوصل الممكن بين السياسيّ والدينيّ: " أمّا تركيا الكماليّة فهي ترفض أيّ تدخّل للدين في السياسة"[5].

ولا تغيب إيطاليا عن المشهد. فهي بحكم احتلالها لليبيا وتجريع شعبها مختلف أشكال الهوان والعذاب والممارسات القمعيّة التعسّفيّة، تظلّ متخوّفة من الإشارة إليها خلال المؤتمر . إنّ إنزعاج "الدول الاستعماريّة الأوروبيّة، خاصّة إيطاليا الفاشيّة التي تخشى من أن يتعرّض القمع الوحشيّ الذي تمارسه في ليبيا للشجب"[6]، حجّةٌ ضدّهم ومبرّر للاعتراضات والتنديد وانبثاق المقاومة فكرا وممارسة.

ولن يصل الوفد القادم من السعوديّة للمشاركة في المؤتمر إلّا متأخّرا. فلن تكون له مشاركة في تداولات جلسات المؤتمر. ذلك أن آل سعود كانوا قد تدخّلوا "لدى البريطانيّين لكي يحصلوا على

[1] المصدر السابق، ص275.
[2] المصدر السابق، ص275.
[3] لورنس، مسألة فلسطين، المجلّد الثاني، مصدر سابق، ص275.
[4] المصدر السابق، ص275.
[5] المصدر السابق، ص275.
[6] المصدر السابق، ص275.

تطمينات بأنّه لن يجري عمل شيء ضدّهم. وسوف يرسلون في النهاية وفدا إلى المؤتمر، بيد أنّه سيصل بعد انتهاء المناقشات...."[1].

نسجّل في هذا الموضع من البحث غياب الكثير من التفاصيل المتعلّقة بالمرحلة التحضيريّة لمؤتمر القدس من الجهة الفكرة والتنظيم الإداريّ وتوزيع الأدوار والشخصيّات الفاعلة فيه سياسيّا وماليّا، خاصّة.

(2) الخطوات الإجرائيّة

أ- **بداية فعاليّات المؤتمر**: إنّ في اختيار تاريخ انعقاد مؤتمر القدس هذا قصدا. فقد أُريد له أن يتقاطع مع حدث تُجلّه أمّة الإسلام. وهو من عقائدها الثابتة بنصّ القرآن الصريح، والمتمثّلة في الربط بين المسجد الحرام بمكّة المكرّمة، والمسجد الأقصى بمدينة القدس على نحو ما ورد في مطلع سورة الإسراء ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1]، حيث تزامن مع ذكرى الإسراء والمعراج. يقول لورنس: "ويبدأ المؤتمر أعماله في القدس في 7 ديسمبر/ كانون الأوّل 1931، ذكرى إسراء النبيّ إلى المسجد الأقصى"[2]. ولا شكّ أنّ في هذا الاختيار الزمنيّ أبعادا رمزيّة ليس أقلّها من التذكير بالروابط الروحيّة بين المسلمين، ومحوريّة مدينة القدس والمسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى. وقد أشّر أبو شقرا على دور الحاج أمين في افتتاح المؤتمر والاحتفاء بقصّة الإسراء والمعراج: "افتتح المؤتمر الإسلاميّ بدعوة من الحاج أمين الحسينيّ ليلة الإسراء والمعراج في 3 كانون أوّل سنة 1931، في المسجد الأقصى المبارك بتلاوة قصّة المعراج الشريف"[3]. وهما أمران تجاوزهما لورنس.

وأمّا نسيج المؤتمِرين فكان متنوّعا مثيرا لتسريح النظر: "ضمّ المؤتمر 145 شخصيّة إسلاميّة". وضمّ شخصيّات أخرى لم يخبر عنها لورنس الذي أكّد غلبة السوريّين والفلسطينيّين من جهة العدد. يقول: "ومن الواضح أنّ الأغلبيّة سوريّة وفلسطينيّة (وبينها القوتلي ورياض الصلح)، بيد أنّ الأسماء الكبيرة في الهند وإيران والعراق كانت حاضرة[4]. ولأوّل مرّة، في مؤتمر كهذا، شارك

[1] المصدر السابق، ص275.

[2] لورنس، المجلّد الثاني: مسألة فلسطين، م. س، ص275.

[3] أبو شقرا، إبراهيم (1998): الحاج أمين الحسينيّ منذ ولادته حتّى ثورة 1936م، ط1، دمشق: دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر، ص159.

[4] "وحضره علماء وشخصيّات إسلاميّة كبرى مثل الشيخ محمّد رشيد رضا، والمفكّر الهنديّ الشاعر محمّد إقبال، والزعيم الهنديّ شوكت علي، والزعيم التونسيّ عبد العزيز الثعالبي، ورئيس وزراء إيران السابق ضياء الدين الطبطبائي، والزعيم السوريّ شكري القوتلي، ... وغيرهم"[4]. انظر: محسن محمّد صالح، القضيّة الفلسطينيّة خلفيّاتها

في النقاشات مسلمون من الشمال الأفريقيّ (عدد من القوميّين المغاربة والتونسيّين الذي يحيون في المنفى). وقد مثّل الشيعة مجتهدهم الكبير كاشف الغطاء (من العراق) وعلماء من الجنوب اللبنانيّ. وكان آخر ظهور كبير لرشيد رضا في اجتماع عامّ في هذا المؤتمر[1]. بهذه التفاصيل يهتمّ لوران ويغضّ الطرف عن جزئيّات أخرى في غاية الأهمّيّة تتعلّق بحضور أعلام من غير البلاد الإسلاميّة، أيضا[2].

يثير هذا الشاهد جملة مهمّة من القضايا التي تكشف عن عمق تفكير لورنس وقيمة الرؤية الغيريّة في التقاط ما يمكن أن يستهان به وهو في حقيقته يمثّل خطورة ما مخفيّة. القضيّة الأولى مشاركة مسلمين من شمال إفريقيا. وفي ذلك علامة على إرهاصات الوصل بين الشرق الإسلاميّ وغربه. وتتمثّل القضيّة الثانية فيخطر تحرّك المنفيّين خارج البلاد وما يمكن أن ينفّذوه من أعمال خارج الرقابة التي كانت مفروضة عليهم. وأمّا القضيّة الثالثة فتتجلّى في استقطاب المؤتمر للقوميّين المغاربة الذين سيكون لهم أثر في وصل الإسلاميّة بالقوميّة أو ما يعرف بالجامعة الإسلاميّة والجامعة العربيّة. وتدور القضيّة الرابعة على حضور الشيعة وما يعنيه من إمكانات تجاوز الخلافات بينهم وغيرهم من الفرق ومن ثمّ وحدة المسلمين. وإلى هذا تُضاف قضيّة جنوب لبنان والحضور الأخير لرشيد رضا. وفي مجمل القضايا هناك معالم بروز بناء جديد بصدد التشكّل تغيب فيه الانشقاقات أو تضمحلّ.

ب- أنشطة المؤتمر: وقد ساهم هذا الحضور المكثّف والمتنوّع من العلماء والشخصيّات الإسلاميّة البارزة في انتخاب مكتب للمؤتمر الذي اقتضى وقتا وأولويّات في القضايا المطروحة، "وفي اليوم التالي يجري انتخاب مكتب للمؤتمر. وتستغرق المناقشات خمسة عشر يوما. وقد جرى ترك المسائل الأكثر سياسيّة لنهاية المؤتمر"[3].

ولمّا كانت أغلب بلاد الإسلام، يومها، ترزح تحت الاحتلال وتتجرّع ويلاته لم يكن من الممكن التغاضي كلّيّا عن هذه القضايا المركزيّة. يقول لورنس: "وبالرغم من رغبة المفتي في التقيّد

التاريخيّة وتصوّراتها المعاصرة، طبعة مزيدة ومنقّحة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت-لبنان، 1433هـ/2012م، ص48.

[1] لورنس، مسألة فلسطين، المجلّد الثاني، مصدر سابق، ص276.

[2] "حضر المؤتمر عدد كبير من زعماء المسلمين وعلمائه وأعيانه يمثّلون المسلمين في الشرق والغرب. ومثّل هؤلاء 22 بلدا إسلاميّا وغير إسلاميّ. وهي: فلسطين ولبنان وسورية والأردن ومصر والعراق والمغرب الأقصى وليبيا والسعوديّة واليمن وتونس وتركستان الصينيّة وتركيا وجاوا وروسيا وسيلان وإيران وقافقاسيا ونيجيريا والهند". ويوغسلافيا". انظر: أبو شقرا، الحاج أمين الحسينيّ، ص159.

[3] لورنس، مسألة فلسطين، المجلّد الثاني، مصدر سابق، ص276.

بالإطار الفلسطينيّ فإنّ الاستعمار الأوروبيّ كلّه في أراضي الإسلام إنّما يتعرّض للشجب من الظهير البربريّ في المغرب الأقصى إلى الممارسات السوفياتيّة في القوقاز وآسيا الوسطى"[1].

أمّا جملة القضايا المتعلّقة بفلسطين بشكل مباشر وبصفة مخصوصة فقد جرى "طرح عدد معيّن من المبادئ: حماية الأماكن المقدّسة الإسلاميّة، وإنشاء جامعة إسلاميّة في القدس، ورفض السياسة البريطانيّة الممالئة للصهيونيّة والنضال ضدّ الاستيطان اليهوديّ والهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، ويجري إنشاء مكتب دائم لتنسيق عمل مختلف البلدان الإسلاميّة[2]. وما كان ذلك ليكون لولا خصوصيّة هذا المؤتمر وموقعه التاريخيّ لا في فلسطين وحدها بل في مختلف البلدان الإسلاميّة التي اتمعت كلمتها بفضل هذا المؤتمر، حيث"استعاد الحاجّ أمين نفوذه بتنظيم مؤتمر إسلاميّ في القدس، الثالث بعد الحرب، والأوّل المتضمّن لممثّلين شيعة، نجح في جرّ العالم الإسلاميّ حول مسألة فلسطين"[3].

والملاحظ أنّ في هذه المسائل المطروحة ضمن فعاليّات المؤتمر تجاوزا جليّا لما كان قد طرحه ريتشموند من الموادّ التي ينبغي تداولها في المؤتمر[4].

وضمن أنشطة المؤتمر برزت شخصيّة عبد الرحمان عزّام في موقفين حرص لورنس على ذكرهما. الموقف الأوّل تعبّر عنه المشاحنة الصحفيّة المصريّة. "والحال أنّ عبد الرحمان عزّام، ممثّل حزب الوفد المصريّ آنذاك، إنّما يتحدّث عن تضامن مصر وفلسطين الطبيعيّ ذاكرا حزبه دون أن يذكر الملك فؤاد، الأمر الذي يثير مشاحنة مع صحفيّ ملكيّ مصريّ[5]. وأمّا الموقف الثاني فيتمثّل في فضحه لسياسة الاحتلال الإيطاليّ الوحشيّة في ليبيا. وقد انتهى بطرد سلطات الانتداب له من المؤتمر. وهذا بعض من علامات تنفّذ الانتداب ومراقبته فعاليّات مؤتمر القدس هذا. يقول لورنس: "عزّام كان قد حارب في ليبيا ضدّ الاستعمار الإيطاليّ "يغتنم الفرصة لكي يلقي خطابا ذا نبرة شديدة العنف ضدّ وحشيّة القمع الإيطاليّ مطالبا بمقاطعة المنتجات الإيطاليّة. فيحتجّ قنصل إيطاليا. وتقوم سلطات الانتداب بطرد المصريّ المندفع وتقدّم اعتذارات إلى الحكومة الإيطاليّة[6].

[1] المصدر السابق، ص276.

[2] المصدر السابق، ص276.

[3] Laurens, *La vie politique palestinienne*, op. cit, p. 22.

[4] لورنس، مسألة فلسطين، المجلّد الثاني، مصدر سابق، ص273-274.

[5] لورنس، مسألة فلسطين، المجلّد الثاني، مصدر سابق، ص276.

[6] المصدر السابق، ص276.

ويبدو أنّه، باستثناء هذين الحدثين، كانت أيّام المؤتمر متماسكة ولا تصدّع في العلاقات بين الحضور. وهذا رأي لورنس في ذلك: "والمناخ يسوده شعور عارم بالارتياح"[1].

ج- **المؤتمر الموازي:** وقد تابعت الدول الأوروبيّة المناقشات باهتمام. وهي لا تجهل أنّه على هامش المؤتمر جرى عقد لقاء آخر في 13 ديسمبر/ كانون الأوّل في منزل عوني عبد الهادي. وقد ضمّ هذا اللقاء أعضاء الجمعيّة العربيّة الفتاة العددين السابقين في عهد الحكومة العربيّة في دمشق. وانضمّ إليهم المندوبون القادمون من الشمال الأفريقيّ ومصر. وهناك أيضا ألقى عزّام خطبة حماسيّة تدعو إلى الجهاد ضدّ جميع الدول الإمبرياليّة. ثمّ اعتمد المجتمعون الخمسون الميثاق الأوّل للنزعة القوميّة العربيّة الحديثة. أمّا مدار الاهتمام في الموادّ الثلاث الأولى فهي كما يلي: المادّة الأولى: الأمّة العربيّة وحدة لا تتجزّأ، والثانية: توجيه الجهود في كلّ الأقطار العربيّة وجهة واحدة (لا لسياسات محلّيّة إقليميّة)، والثالثة: الأمّة العربيّة ترفض الاستعمار وتقاومه[2].

ثالثا: تداعيات المؤتمر

على قدر خطورة المؤتمر وتوجّسات اليهوديّة الصهيونيّة الوافدة على فلسطين منه وتخوّفات الدول الأوروبيّة منه وعلى رأسهم بريطانيا صاحبة مشروع الانتداب في الشرق الأوسط، كانت التداعيات الداخليّة والخارجيّة. ففي الداخل تدعّمت مكانة الحاجّ أمين، وتأكّدت شرعيّة النضال ضدّ الإمبرياليّة والاستعمار، وكان تبنّي النزعة القوميّة المحلّيّة للخطاب المعادي للإمبرياليّة وفي الخارج: جمع رقعة العالم العربيّ ما بين المحيط الأطلسيّ والخليج الفارسيّ، والوعي الدوليّ بتهديد المؤتمر للوجود اليهوديّ في فلسطين، وبدءتشكّل ضغط الكارثة الأوروبيّة على فلسطين.

(1) التداعيات الداخليّة

أ- **تدعيم مكانة الحاجّ أمين:** يندرج هذا ضمن تقديم شخصيّة قياديّة تعلّق بعهدتها المهامّ الكبرى الخاصّة بفلسطين تحديدا، وقضايا الأمّة على نطاق أوسع. وكانت شخصيّة الحاج أمين الحسينيّ مرشّحة أكثر من غيرها للقيام بهذا الدور القياديّ، رغم المنافسات التي شهدتها مسيرته باعتباره مفتيا للديار الفلسطينيّة، وعالما مشهودا له بالفصاحة والخطابة والحركيّة، وصاحب سبق في ربط صلات بدار الكنانة مصر وبعلماء الأزهر بها، ورغم الانتقادات الموجّهة إليه من العرب خاصّة إذ أحرز نجاحا ضخما في تدعيم مكانته قياسا إلى جميع منافسيه.

ولعلّ الحاج أمين الحسينيّ، بخصائصه تلك كان قد مثّل منافسا قويّا للنشاشيبيّن خاصّة هؤلاء الذين سعوا "بكلّ السبل إلى معارضة عقد المؤتمر. فهم يشون بالحاج أمين لدى ابن سعود،

[1] المصدر السابق، ص276.

[2] المصدر السابق، ص278.

إذ يتّهمونه بالرغبة في تدويل الحاجاز..."[1]، هؤلاء الذين كانوا متّهمين بالعمالة للصهيونيّة. يقول لورنس: "ويُشتبه بأنّ الصهيونيّين يقدّمون دعما ماليّا للنشاشيبيّن في معركتهم ضدّ المؤتمر. ويعقد هؤلاء الأخيرون مؤتمرا إسلاميّا فلسطينيّا، لكنّ تظاهرتهم تبدو باهتة بالقياس إلى نجاح الحسينيّين"[2]، وعلى رأسهم الحاج أمين الذي تدعّمت منزلته بانعقاد مؤتمر القدس واكتمال حلقاته.

ب- تأكيد شرعيّة النضال ضدّ الإمبرياليّة والاستعمار: استفرغ المؤتمرون جملة المسائل التي كانوا قد قرّروا تدارسها ممّا تعلّق بالقضيّة الفلسطينيّة رأسا. لكنّهم توسّعوا في طرح مشكلات الأمّة الإسلاميّة. "والحاصل أنّ المؤتمر الإسلاميّ في القدس، والذي جرى التفكير فيه من أجل التعبير عن التضامن الإسلاميّ، قد تحوّل تدريجيّا إلى تأكيد لشرعيّة النضال ضدّ الإمبرياليّة والاستعمار، أكانا أوروبيّين أو سوفييتيّين أو صهيونيّين"[3]. ومن هنا يتحوّل المؤتمر ممثّلا لمرحلة مفصليّة في الوعي العربيّ الإسلاميّ بحقيقة الوضع وخطورة المآلات التي يتّجه نحوها العالم الإسلاميّ إن لم يتحرّك لحماية وجوده وممتلكاته، تخطيطا وإنجازا. لقد أصبح المؤتمر، والعبارة لرونس "لحظة رئيسيّة في تاريخ الإسلام في القرن العشرين. وقد استوعب معجمه السياسيّ الآن المفاهيم الحديثة القادمة، بشكل مفارق، من الحركة الشيوعيّة، وإن كان قد جرى قلبها لتحديد الاتّحاد السوفييتيّ والإلحاد كخصم يتميّز بالطابع نفسه الذي يتميّز به الاستعمار الأوروبيّ"[4].

اكتسبت القضيّة الفلسطينيّة شرعيّة الدفاع عن نفسها لكونها عيّنة من عيّنات الاضطهاد في العالم. لذلك جاءت زيارة المندوب السامي إلى جنوبي فلسطين في 15 ديسمبر، بُعيد انعقاد المؤتمر. وهي زيارة لم ير فيها اليهود سوى إفراط بريطانيا في التسامح مع الفلسطينيين. و"يوم 22، في تل أبيب، يتحدّث ديزنجوف باسم جميع السكّان اليهود الذين يشعرون بالسخط حيال التسامح البريطانيّ مع نشاطات المؤتمر... ولدى عودة المندوب السامي إلى القدس، يقوم باستدعاء المفتي لكي يوجّه إليه مؤاخذات. فيردّ عليه الحاجّ أمين بأنّه لا يمكن إسكات ممثّلي الشعوب المضطهدة"[5]. وفي ذلك ما فيه من أمارات الوعي بالمخاطر المحدقة بفلسطين وبلاد الإسلام بسبب الإمبرياليّة الاستعماريّة، ومن ثمّ تأكيد شرعيّة النضال ضدّها.

ج- تبنّي النزعة القوميّة المحلّيّة للخطاب المعادي للإمبرياليّة: إن لم تكن النزعة العروبيّة قد انبثقت من مؤتمر القدس فإنّ له دورا في أن تفصح هذه الحركة عن وجودها. يقول لورنس: "ولكن

[1] لورنس، مسألة فلسطين، المجلّد الثاني، مصدر سابق، ص275.
[2] المصدر السابق، ص275.
[3] المصدر السابق، ص277.
[4] المصدر السابق، ص277.
[5] لورنس، مسألة فلسطين، المجلّد الثاني، مصدر سابق، ص277.

على هامش المؤتمر جاء العروبيّون من كلّ البلدان يجتمعون لتأسيس حركة تغطّي جمعا عربيّا من المغرب الأقصى إلى العراق"[1]. "وفي فلسطين أدّت معارضة المشروع الصهيونيّ إلى التعجيل بفرض نهج نضاليّ يرفض التعاطي مع إدارة الانتداب. يرجّح الحنّاشي أن يكون ذلك من تداعيات المؤتمر الداخليّة. يقول: "وربّما يكون ذلك نتيجة أو صدى للمؤتمر الإسلاميّ الذي عقد في القدس في عام 1931، ولا سيّما الاجتماع الذي عقد على هامشه وضمّ عددا مهمّا من رجالات الحركة العربيّة الاستقلاليّة الذين اتّفقوا على مقاومة الاستعمار بأشكاله كلّها"[2].

وهذا يشي بنوع من التطوّر الذي بدت ملامحه واضحة تواشجت فيها النزعة العروبيّة والنزعة الدينيّة. ومثل هذا التواشج يقوّي الجبهة المعارضة لمشاريع الاحتلال. يقول لورنس: "إنّ النزعة القوميّة المحلّيّة قد تبنّت الخطاب المعادي للإمبرياليّة، وإن كانت قد أضفت عليه صبغة دينيّة إسلاميّة محدّدة[3].

(2) التداعيات الخارجيّة

أ- العالم العربيّ من المحيط الأطلسيّ إلى الخليج الفارسيّ: تكشّف للمؤتمرين أمر كان خافيا عليهم. وهو أنّ القواسم المشتركة بين البلاد العربيّة والبلاد الإسلاميّة أقوى بكثير ممّا كان مألوفا أو حتّى مجهولا. يقول لورنس: "وفي تاريخ النزعة القوميّة العربيّة، يعدّ الحدث تأسيسا، فلأوّل مرّة، لم يعد العالم العربيّ آسيا العربيّة وحدها، بل كلّ الأراضي الواقعة بين المحيط الأطلسيّ والخليج الفارسيّ. وفي حركة واحدة من المغرب الأقصى إلى مصر، صارت جميع الأراضي العربيّة-الأفريقيّة بسبيلها إلى الميل في اتّجاه النزعة القوميّة العربيّة (وذلك ثمرة للنشاط الذي لا يكلّ والذي يقوم به شكيب أرسلان[4] انطلاقا من جنيف"[5].

وفي هذه البلدان العربيّة والإسلاميّة "جرى اعتبار التمرّد العربيّ في عام 1916 خيانة للإسلام وللدولة العثمانيّة وموالسة[6] خطيرة مع الاستعمار الأوروبيّ"[7]. اندرجت فكرة تجميع العالم

---

[1] Lauren, *La vie politique palestinienne*, op. cit, p. 22.

[2] الحنّاشي، تطوّر الخطاب السياسيّ، ص128.

[3] لورنس، مسألة فلسطين، المجلّد الثاني، مصدر سابق، ص278-279.

[4] صاحب السؤال المحرّك لفكر النهضة: لماذا تأخّر المسلمون وتقدّم غيرهم؟ سؤال له توقيته ومضامينه وارتدادته. وهو الرابط بين التخلّف والخيانة: "ولولا هذا التبرع بالخيانة، والتسرع إلى مظاهرة الأجنبيّ على ابن الملّة، لما استأسد الأجنبيّ وصار يتحكّم في المسلمين هذا التحكم الفاحش". انظر: أرسلان، شكيب (2017): لماذا تأخّر المسلمون؟ ولماذا تقدّم غيرهم؟ ط1، لندن: مؤسّسة هنداوي، ص22.

[5] لورنس لورنس، مسألة فلسطين، المجلّد الثاني، مصدر سابق، ص277- 278.

[6] الموالسة هي الخيانة والخداع.

[7] المصدر السابق، ص278.

العربيّ الإسلاميّ جغرافيّا ضمن مشروع يراد له حصول التعاون والتوافق سياسيّا وإن بالوقوف ضدّ الإمبرياليّة الكولونياليّة. فلا اعتبار لقوميّة عربيّة منفصلة عن كيان الأمّة الإسلاميّة ككلّ. يقول لورنس: "وبفضل النضال ضدّ الاستعمار والإمبرياليّة فإنّ البرنامج الوحدويّ بسبيله إلى التغلّب على نزعة قوميّة ذات أساس محلّيّ أو إسلاميّ. ومنذ ديسمبر/كانون الأوّل 1931 ينشأ سديم من الاتّصالات والعلاقات بين منظّمات كلّ من هذه الأقطار (عبر أوروبا في أغلب الأحيان)"[1]. من الضروريّ الوقوف عند هذا الذي جعله لورنس بين هلالين: (عبر أوروبا في أغلب الأحيان)، لأنّ السيادة العربيّة الإسلاميّة ما كان لها أن تشهد كمالها مادامت تقبل بالوسيط الأوروبيّ في تسيير شؤونها الخاصّة.

ب- الوعي الدوليّ بتهديد المؤتمر للوجود اليهوديّ في فلسطين: لئن مثّل مؤتمر القدس نقلة محوريّة في الوعي العربيّ الإسلاميّ، فإنّه كان كذلك سببا في نشأة وعي دوليّ آخر بتهديد الوجود اليهوديّ على أرض فلسطين كما على الأراضي العربيّة الأخرى. صرّح بذلك رجل السياسة في ما قبل الدولة، حاييم أرلوزوروف (Haïm Arlozoroff)(1899-1933). "وفي أواخر الشهر يقوم أرلوزوروف بإبلاغ قنصل فرنسا العامّ بتحليله للوضع: لأوّل مرّة شنّ مؤتمر إسلاميّ هجوما على اليهود. والجماعات السكّانيّة اليهوديّة في البلدان العربيّة في خطر. ومعاداة الصهيونيّة وثيقة الارتباط بمعاداة الإمبرياليّة: "إنّ اليهود أكثر تضامنا مع أوروبا ممّا مع الشرق. وما يمسّهم في فلسطين إنّما يمسّ مصلحة أدبيّة أوروبيّة"[2]. يستنهض أرلوزوروف بهذا الخطاب همم الأوروبيّين لا ليدافعوا عن الوجود الصهيونيّ في الشرق بل ليحفظوا مصالحهم هناك. حتّى لكأنّ اليهود ممثّلين لهم في الشرق وحمايتهم شرط حماية المصالح الأوروبيّة هناك.

ج- ضغط الكارثة الأوروبيّة على فلسطين: نجح اليهود من خلال خطاباتهم ومراسلاتهم وبعثاتهم وتهديداتهم إلى تحويل الصراع من صراع داخليّ بين اليهود والعرب إلى صراع خارجيّ بين فلسطين والكتلة الأوروبيّة. فإذا ب"مرحلة جديدة في المسار التاريخيّ لمسألة فلسطين قد تمّ اجتيازها: فمن الواضح أنّ العالم اليهوديّ والعالم الإسلاميّ قد دخلا، في مستهلّ ثلاثينات القرن العشرين، في مرحلة مواجهة سوف تهدّد أوضاعا مكتسبة منذ قرون، بل منذ آلاف من السنين. وهذا شيء مفرط في دراميّته لا سيّما أنّه اعتبارا من عام 1932 سوف تضغط الكارثة الأوروبيّة بشكل أفدح فأفدح على فلسطين وعلى العلاقات بين العالمين سواء بسواء"[3]. ومثل هذا المآل سيشكّل تحالفات أوروبيّة

[1] المصدر السابق، ص278.

[2] لورنس، مسألة فلسطين، المجلّد الثاني، مصدر سابق، ص278.

[3] المصدر السابق، ص279.

واتّفاقيّات دوليّة لحماية المصالح اليهوديّة–الأوروبيّة في الشرق الأوسط والحرص على بقاء اليهود شوكة في خاصرة بلاد العرب، تستدرّ بها الإمبرياليّة العالميّة الثروات وتستبيح الأرض والعرض.

الخاتمة:

من نتائج البحث ما تعلّق بالمسألة الاصطلاحيّة، حيث كان استخدام المستعرب هنري لورنس في المدوّنة المعتمدة، لمصطلح الصهيونيّة والنسبة إليها إفرادا وجمعا تعريفا وتنكيرا، وتمييزه من اليهوديّة، دون أدنى تهيّب، وكذا الشأن بالنسبة إلى بعض المفاهيم مثل الكارثة الأوروبيّة وإيطالية الفاشيّة وغيرها، يستخدمها دون تنسيب في موقف واضح من قضايا الاحتلال والإمبرياليّة. لكنّ التأكّد لم يتمّ بعد لعدم الظفر بالنسخة الأصليّة الفرنسيّة من التسميات المعتمدة من جهته في فلسطين المحتلّة/إسرائيل، أو القدس Jérusameme، المقاومة/ الجهاد... وهذا مهمّ ففي تغيير الأسماء ضياع المسمّيات. وهذا مهمّ كذلك في الدراسات الحضاريّة التي تنشد البحث في حقائق الظواهر دون تأثّر ظاهر بالانطباعيّة والتخييل والتمذهب. وقد بدا خطاب لورنس متأرجحا بين صياغة مشتقّة من المصادر العربيّة وأخرى مشتقّة من غير المصادر العربيّة. غير أنّه بدا حريصا على إحكام التساوق بين الفكرة ودقّة الأداء التعبيريّ لها، لكنّه كان قليل الرجوع إلى المصادر عند إدراج الشاهد وهذا من شأنه أن يحدث فراغا توثيقيّا مطلوبا في الدراسات ذات الصبغة البحثيّة العلميّة الأكاديميّة. هذا بالإضافة إلى الافتقار الشديد للاشتغال في علم التراجم. فالشخصيّات تقدّم كما لو كان المتلقّي ذا دراية بها. يستحرّ هذا الأمر إذا ارتحل النصّ مترجما. ثمّ إنّ خطابه اكتسى، عند طرحه لمسألة فلسطين، مؤتمر القدس تحديدا، صبغة غيريّة تأكّد من خلالها اختلاف الحقيقة الواحدة بمجرّد تغيير زاوية النظر.

لقد قدّم لورنس دراسة حول مؤتمر القدس مختلفة عمّا تضمّنته كتب عربيّة كثيرة بين دفّتيها. إذ نبّه القارئ إلى خصوصيّة هذا المؤتمر في حدود قدرته على ضمّ المتفرّق وجمع الشتات، وبلورة قضايا حارقة راهنة هي نتاج أدواء ما تزال تنخر الأمّة: النرجسيّة والانفعال والسطحيّة. وفي ذلك نظرة استشرافيّة جديرة بالاعتبار.

قائمة المصادر والمراجع

- أبو شقرا، إبراهيم. (1998). الحاج أمين الحسينيّ منذ ولادته حتّى ثورة 1936م (الطبعة الأولى). دار المنارة للدراسات والترجمة والنشر.
- أرسلان، شكيب. (2017). لماذا تأخّر المسلمون؟ ولماذا تقدّم غيرهم؟ مؤسّسة هنداوي.
- جبّور، عبد النور، & سهيل، إدريس. (1983). المنهل: قاموس فرنسيّ–عربيّ (الطبعة السابعة). دار العلم للملايين؛ دار الآداب.
- الحنّاشي، عبد اللطيف. (2016). تطوّر الخطاب السياسيّ في تونس تجاه القضيّة الفلسطينيّة (1920–1955) (الطبعة الأولى). المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات.
- الحنّاشي، عبد اللطيف. (د.ت.). الشيخ عبد العزيز الثعالبي والقضيّة الفلسطينيّة (1923–1944). جامعة منوبة.
- الحوت، بيان نويهض. (1981). القيادات والمؤسّسات السياسيّة في فلسطين (1917–1948) (سلسلة الدراسات، رقم 57). مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة.
- صالح، محسن محمّد. (2012). القضيّة الفلسطينيّة: خلفيّاتها التاريخيّة وتصوّراتها المعاصرة (طبعة مزيدة ومنقّحة). مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.
- قرفال، نجاة. (2023). الخطاب الاستعرابيّ والمغالطات الثلاث: العرق الأسمى والعلم الأرقى والمدنيّة الحقّ. مجلّة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانيّة، 5(1)، 77–96.
- لورنس، هنري. (2009). مسألة فلسطين: المجلّد الثاني (1922–1947): رسالة مقدّسة للعالم المتمدّن، الكتاب الثالث (1922–1931): انتداب على فلسطين (ترجمة: بشير السباعي)، ط2، المركز القوميّ للترجمة.
- Laurens, H. (1993). Genèse de la Palestine mandataire. Monde Arabe, 140(2), 3–34.
- Laurens, H. (1998). La vie politique palestinienne avant 1948: localisme ou panarabisme? Monde Arabe, 159(1), 12–27.
- Santucci, R. (2000). Compte rendu de La question de Palestine. Tome premier: 1799–1922, l’invention de la Terre sainte, par Henry Laurens. Revue française d’histoire d’outre-mer, 87(328–329), 383–384.
- Segev, T. (2000). One Palestine, complete: Jews and Arabs under the Mandate. Metropolitan Books.